بطل من بلادي اسمه "أبو صالح"

جيش الانقاذ : « وسلمنا البلدة لقوات الانقاذ بين الظهر والعصر ولم تكد تأفل شمس ذلك النهار حتى استعادت القوات الصهيونية البلدة منهم - خذلتنا قوات الانقاذ مرات عديدة - لانهم كانوا لا ينقلون لنا الا اخبار الهدنة »

مناضل وقائد فلسطيني ، بطولاته تشبه « الاساطير » قاتل الاعداء بعيدا عن الاضواء ، متواضع لدرجة تفوق الوصف ، اساليب عمله مزيج من الاسلو بالفيفاري - المغامر - احيانا ومن حكايات روبن هود الاسطورية ، خياله وان لم يكن معروفا للكثيرين الا انه يخيف الاعداء - تعرفه « اسرائيل » جيدا من خلال عملياته البطولية ، وسلطات الاحتلال البريطاني اصدرت بحقه قرارا بالاعدام قبل عام ١٩٤٨ ، كذلك فعل جيش الانقاذ عام ١٩٤٨ ، اعتقل ثمانين مرة وكان العدو يضطر لاطلاق سراحه - لعدم توفر دلائل ثبوتية من ناحية ولصلابته في الصمود امام اساليب التحقيق رغم بشاعتها - قاتل منذ نصف قرن ، ولا زال يقاتل باساليب حرب العصابات العصرية ، من الحجر الى المدفع هذا هو سلاحه مزودا بحس ثوري وطبقي عفوي تسابقت احزاب عديدة طالبة منه العمل ضمن صفوفها وقابلته قيادات وطنية وقومية طالبة التنسيق معه في اعماله البطولية ، رؤساء طلبوه بحمايتهم ، وهرب من سجون عدة تعرفه حق المعرفة فقط الاهداف التي ترك بصماته فوقها . لم تنل منه عزيمته الصعاب ولا العذاب وبقي مصمما على الاستمرار في النضال .

قتل اكثر من الف رجل من اعداء الثورة الفلسطينية وحرر مستعمرات باكملها عام ١٩٤٨ ...

يطيب لك الجلوس مع هذا المناضل « المغمور » وتجربته التي ما زال يخطها بدمه وعرقه ونضاله ستكون جزءا من تاريخ النضال الفلسطيني يتركها لكي تستفيد منها الاجيال الصاعدة ..

حين زرته في منزله - المتواضع - وبلغته تحيات الرفاق ، ابتسم وقال : ولو شو بدكم بالقصة هلق - اكتبوا بعد الاستشهاد فالكل ملم بحكايتي ولكني الحت في اقناعه وافق على ان يعطي الجزء الاكبر من حديثه لذكريات رائعة ما زال يحملها من البلاد التي احب من فلسطين . وابتدأ حديثه قائلا :

بواكير النضال

« ولدت عام ١٩١٨ في احدى قرى الساحل الفلسطيني الكائنة في منطقة الجليل الاعلى - طلب عدم كتابة اسم البلدة لدواعي امنية اذ انه منذ ثلاثين عاما لم ير زوجته او ابناءه الموجودين تحت الاحتلال الصهيوني » . واضاف عندما بلغت التاسعة من عمري كرهت سلطات الاحتلال البريطاني بعد سلسلة قصص سمعتها من الكبار ولم اكد ابلغ الحادية عشر حتى تعرضت لصفعات - بدون سبب - من شاويش انكليزي ، ومن يومها قررت ان اقوم باي عمل يضرهم ، فاخذت بادىء الامر اعمل على حل رباط خيولهم او اضرب سياراتهم بالحجارة .

وخلال ثورة ١٩٣٦ كان لدى والدي « احد عشر شجرة زيتون اجبرته على بيعهم لاشتري بثمنها بارودة « المانية » وبدأت اقاتل الى جانب المناضلين ، وكانت المجموعة التي انا فيها تضم قيادات تلك الثورة امثال « ابو بكر ، ابو علي ، ابو ابراهيم الكبير وابو ابراهيم الصغير وحمد التوبة » ، وكان علينا تنفيذ المهمات في منطقة الجليل الغربي ، اضافة لذلك كنا نقوم بدوريات وعمليات في معظم الجبال الفلسطينية . وكنت على معرفة بالشيخ المجاهد الاكبر عزالدين القسام منذ كان اماما في جامع الحاج عبدالله فوق وادي رستم « جامع الغزازوة » وقد استشهد عدد من المناضلين الذين عملوا معي في تلك الفترة قاتلنا حتى عا م١٩٣٩ الى ان اجهضت الثورة وادركنا ضخامة التآمر الرجعي العربي وخنوع القيادات الاقطاعية الفلسطينية ذلك الحين ، وقد قامت الانظمة العربية وقتها برفض بيع الذخيرة لنا اضافة الى ايقافهم التسهيلات التي كانت تقدم لجرحانا » ...

« لا . زلت اذكر « تلك الليلة » التي لجأت فيها القيادة الثورية الى الحدود اللبنانية الا ان « ابو درة » خالفها الرأي حين اصر على الذهاب الى الاردن - وكان يعتقد ان الملك عبدالله من عائلة الرسول ولا يمكنه ان يخوننا ولما ذهب « ابو درة » للاردن سلمه الملك في نفس الليلة لقوات الانكليز ، وقد اعدمه الانكليز في سجن عكا بعد تسليمه بيومين » .

رفاقه شاركوا بثورة العراق

وتابع قائلا : « وعادت القيادة الى العراق حيث شاركت في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، وحصل تساقطات من ضمنها « رباح عوض » و « اسعد الشقيري » (والد احمد) حيث كانا على عداء مع جماعة « عزالدين القسام » فتعاونا مع الانكليز واخذا يقومان معهم بجولات تفتيشية على القرى ويطالبون الاهالي بتسليم الاسلحة التي بحوزتهم والمناضلين المختبئين عندهم . طالبلي الانكليز بتسليم نفسي ، فرفضت الاستسلام ، وحصلت معركة قرب بلدتنا وقتل خلالها ضابط من - آل الملك - واحضروا على اثرها كلاب الاثر - بوليسية - جمعوا الاهالي ، وطالبوا بمعرفة زارعي الالغام ، رفض الاهالي التعاون معهم، هدد الانكليز بنسف البلدة لم يخف ذلك الاهالي ، وقامت القوات الانكليزية

مقاتلون فلسطينيون في الاردن : « كنت اتصدى الى جانب رفاقي في الجبهة الشعبية والمقاومة لعمليات البطش الرجعي الاردني بحق الطليعة المناضلة العربية »

باعتقال معظم اهالي البلدة ، ونسفت العديد من منازلها - ضمنها - منزلي . وبقينا في الجبال نكمن ونقاتل الدوريات الانكليزية ، كان معي يومها ١٢ مقاتلا عندما بدأت عملية نسف بيوت البلدة وقد قمنا حينها بمشاغلتهم في معارك متعددة - الى ان حضرت لنا نجدات من القرى مما جعل القوات تشتبك مع بعضها في اطواق متعددة (هم يطوقون البلدة) ونحن نطوق القوات الانكليزية ومكذا دواليك الى ان بلغت عدد الاطواق سبعة من كل طرف ، لم تتمكن خلالها قوات الانكليز من استعمال الطيران الحربي لان قواتهم كما ذكرت كانت محاصرة ... استمرت المعركة يومان بلياليهما قتل خلالها وجرح عدد كبير من افراد العدو - كان ذلك صيف عام ١٩٣٨ . كما كنا نشن في الوقت ذاته هجمات على المستعمرات الصهيونية لاننا كنا ندرك طبيعة الترابط العضوي بين الاستعمار الانكليزي والصهيونية . انقطعت الذخائر عنا واصبحنا لا نجد طلقات لبنادقنا وكنا نقوم بشكل عفوي (لعدم وجود وعي نظري لكن هناك اصالة وحس ثوريين) بمصادرة زيتون الاغنياء وبيعه لنتمكن من شراء الاسلحة - بنادق انكليزية وقنابل - وقد نجحنا في ذلك » ..

وباشرنا الاغارات المنظمة

بدأنا عمليات مطاردة للصهاينة بشكل ذكي - كانوا وقتها يلبسون الشورت - وكانت تتم عمليات المطاردة في الجبال - التي يلجأون اليها للتدريب على استعمال الاسلحة ولاستطلاع المواقع والقرى الفلسطينية . كما كنا نقوم بمصادرة مواشيهم وبيعها للفقراء - اهالي القرى - حيث يتم ذبحها خلال ساعة ولم تتمكن القوات الانكليزية من الحصول على اي اثبات كما فشلت في القاء القبض على اي مناضل وقتها . واستمر مسلسل العمليات على هذه الشاكلة حتى صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ...

اعتقلت خلال تلك الحقبة حوالي عشر مرات - توقيف اداري - لكن لم يتمكنوا خلال تحقيقاتهم من الحصول على اي دليل ثبوتي حول الاعمال التي كنت اقوم بها مما كان يجبرهم على اطلاق سراحي .

مرحلة نضالية جديدة

بعد قرار التقسيم - اضاف ابو صالح - بدأت الثورة في المدن الفلسطينية .. نزلت الى حيفا لاقاتل حيث تعرفت هناك الى المناضل سرور - من جماعة عزالدين القسام - واصبحنا نقوم بعمليات هجومية على الحي اليهودي - هدار الكرمل - حيث انزلنا خلال هجماتنا العديد من الخسائر البشرية والمادية في صفوف القوات الصهيونية . الحقيقة كان يقتل من العرب اعداد كبيرة من المدنيين وذلك بسبب سيطرة الصهاينة على مواقع استراتيجية ومن ضمنها بناية - ابو الطبول - حيث قمنا وقتها بشن غارة انتحارية وحررنا الموقع وسيطرنا عليه بعد ان اجهزنا على الصهاينة الموجودين وكان عددهم ٢٣ صهيونيا ، واستولينا على اسلحتهم ، وتمركزنا في الموقع . حاول الصهاينة خلالها توسيع رقعة القتال الى القرى فشنوا غارات على « شفا عمرو » قضاء حيفا و « سعسع » قضاء صفد واخذنا نشكل مجموعات ونقوم بنجدة القرى ونقتحم بعض المستعمرات (مناطق عكا ، حيفا ، نهاريا ، حانوتا ومعصوب) ودائما كنا نشتبك مع حرس الصهاينة ونتغلب عليهم مع العلم ان امكاناتهم التسليحية كانت متطورة (بنادق حديثة ، مصفحات) اكثر من اسلحة الانكليز انفسهم واستمر عملنا على هذا المنوال حتى دخول جيش الانقاذ عام ١٩٤٨ حيث اشتركنا الى جانبهم في معارك عديدة - واتسعت رقعة القتال - حيث قامت مجموعاتنا بتحرير مواقع كان قد احتلها الصهاينة ، وسلمناها لجيش الانقاذ - البروة - الا انه خذلنا وقام بتسليمها دون مقاومة للصهاينة .

انتصارنا هزيمة للرجعيين

بمرارة ثائر تعلم من التجربة يتابع الرفيق « ابو صالح » حديثه ببساطة الفلاح الفلسطيني : « واستفحلت الحرب وفرضت الهدنة حيث اخذت بعدها الجيوش العربية (وجيش الانقاذ) بالتضييق على الثوار - مصادرة اسلحة منع من القيام بعمليات ، وقف وقطع الامدادات - هاجمنا « البروة » مجددا وحررناها وسيطرنا على البلدة وصادرنا اسلحة الصهاينة - وقد رفض وقتها « اديب الشيشكلي » تغطية انسحابنا بقصف مدفعي كان من المفترض ان يقوم به - مكثنا في البلدة بعد ان استشهد واصيب في صفوفنا ٥٠ مقاتلا و « مقاتلة » وقمت بتسليم الوسيط الدولي وقتها ٢١١ جثة صهيونية كما قمنا بدفن حوالي ٤٠٠ جثة صهيونية خوفا من انتشار الاوبئة وقتها . وقد كنت حينها آمر قوة الدفاع حيث قسمت الشباب الى مجموعات (٩ شباب للمجموعة اضافة لمسؤولها) كما انني استفدت من قدرة المرأة الفلسطينية حيث قسمت النساء الى مجموعات (مجموعة للاستيلاء على سلاح الصهاينة،